الفصل الثالث

الأبوة والعدوانية

مدخل

يولد الشخص مزوداً بمجموعة من الدوافع الفطرية والغرائز التي تهدف إلى حمايته وبقائه.وتعد غريزة العدوان الأساس الذي يؤدي إلى ظهور السلوك العدواني لدى مواجهة الكائن لما يهدد وجوده وحياته.وإن كان يهدف لدى الإنسان إلى تحقيق غايات أخرى.

ويتدرج السلوك العدواني بين البسيط العادي إلى حد ارتكاب الأذى بحق الآخرين أو الذات. فثمة فرق بين الغضب العادي الذي يعكس عدم الرضا عن شيء، والسلوك العدواني الذي يبلغ بصاحبه إلى حد تهديد حياة الآخرين وإيذائهم، لأسباب مرضية أو مادية أو نفسية أو عقلية أو بيولوجية، وعندها يصبح السلوك العدواني آفة اجتماعية، تتطلب من المجتمع جهود كل فرد من أبنائه للحد منه.

يظهر السلوك العدواني في مختلف مراحل نمو الإنسان.إلا أن المراهق يبدي ميلاً إلى إظهار السلوك العدواني بأشكاله المختلفة، كالعصيان والتمرد على السلطة الوالدية والمدرسية والمجتمع الخارجي، وإظهار العناد مع التعلق بالأوهام وأحلام اليقظة، ولعل

ذلك يتعلق برغبة المراهق الشديدة في إثبات وجوده وشعوره بالتهديد في مواجهة المواقف الجديدة.

وتعمل العوامل التطورية وما تشمله من التنشئة الأسرية وتأثير الأقران والعوامل الاقتصادية ووسائل الإعلام، على تعليم السلوك العدواني. كما أن العوامل الاجتماعية وما تتضمنه من الفقر الشديد والحرمان أو البطالة أو التمييز والتحيز أو الانضمام إلى العصابات أو التعرض إلى العنف، تشكل عوامل تدفع المراهق إلى إظهار السلوك العدواني.

في حين أن أساليب التنشئة الاجتماعية السوية ورعاية الوالدين القائمة على الحب والحنان تؤدي دوراً كبيراً في الحد من السلوك العدواني لدى المراهق، وتوجيه هذه الطاقة إلى مجالات يحقق فيها الإبداع.

تعريف العدوان

العدوان هو سلوك يهدف إلى إلحاق الألم أو الأذى الجسمي أو النفسي بالآخرين، يظهر عندما يحتاج الفرد إلى حماية أمنه وسعادته وفرديته.

ويمكن وصف السلوك العدواني بأنه سلوك أو تهديد مقصود مدفوع بالغضب والكراهية أو المنافسة الزائدة، يتجه إلى إلحاق الأذى بالآخرين أو ما يرمز إليهم وهزيمتهم وإلى التخريب في الممتلكات أو تحطيم الأشياء وإلحاق الأذى بالكائنات، وقد يتجه نحو الذات. ويظهر في أشكال عدة منها: العدوان عن طريق العنف الجسمي، أوالعدوان باللفظ والإيقاع أو التشهير والتنابذ والإسراف في الأوامر والنواهي، أو

الإفراط في النقد والتهديد وطلب النظام، وفي الغمز والتندر والنكتة اللاذعة، والإهمال والاستخفاف بشخص أو بشيء، والحسد والغيرة وتمني الشر للآخرين، ويكون عادة بدافع ذاتي.

والعدوان هو كل سلوك نشط فاعل، تهدف العضوية من خلاله إلى إشباع حاجاتها الأساسية، ويشمل العدوان كل الفعاليات الإنسانية المتجهة نحو الخارج والمؤكدة للذات.

ويعد العدوان كذلك وسيلة من وسائل السيطرة التي يمارسها الفرد في المواقف المحبطة، وتصاحبه عادة عواطف مثل الغضب والكراهية، ويظهر سلوك العدوان غالباً لدى جميع الأطفال بدرجات متفاوتة، ويعد استجابة طبيعية لدى صغار الأطفال. ويتبدى هذا السلوك بصورة أوضح، ولكنه أكثر تهذيباً في مرحلة المراهقة.

ويعرف (شابلين Chaplin) و(نيلسون Nelson) و(باص Buss وكوثر، ١٩٩٢) و (بارون Baron، ١٩٧٣) و(باندورا Bandura، ١٩٧٤) و(سايكس Saykess، ١٩٨٣) و(بينتون Benton، ١٩٨٤) و(ريبر Reber، ١٩٥٨) العدوان بأنه غريزة أو مبدأ متخيل يتجلى في سلوك أو فعل معاد موجه نحو هدف ما، وينم عن إظهار الرغبة في التفوق على الآخرين كاستجابة للإحباط. كما يعبر عن الرغبة في الاعتداء على الآخرين أو إيذائهم والاستخفاف بهم، أو السخرية منهم بطرق مختلفة، بغرض إنزال عقوبة بهم، وفي الصراع والشجار معهم، وفي الميل إلى التدمير بدافع التخلص من الخوف أو الإحباط. وهو نشاط يتجه نحو أهداف سلبية؛ لأنه يسعى إلى إلحاق الأذى بشخص أو بالذات إما بشكل مادي أو لفظي. ويتجلى في تصرفات وهمية أو حقيقية وهو يمثل مقدمة للعداء، والعداء هو مقدمة للسلوك العدواني أو تمهيد لممارسة سلوك العدوان، وإن كل سلوك يمكن أن ينشط

كسلوك عدواني؛ فالإنسان مخلوق سيكولوجي ينزع بطبعه إلى استعادة توازنه النفسي، فإن أخفق في الوصول إلى مصدر الإحباط وإلحاق الأذى به، تحوّل إلى أول كبش فداء يلقاه، ليصب عليه عدوانه. ويمكن التنبؤ بالسلوك العدواني والتحكم فيه بالوقاية والعلاج.

فالعدوان هو نشاط سلوكي فطري ومكتسب، يهدف إلى حماية الشخص من مصادر التهديد الخارجي، أو إلى التخلص من الإحباط الذي سببه الحرمان من إشباع الحاجات المادية والنفسية، أو إلى التملك أو تأكيد الذات. ويظهر في أشكال مادية ونفسية. ويكون مختلفاً بين الأفراد وفق الطبيعة الشخصية والجنس والبيئة الاجتماعية.

وللعدوان مفاهيم متعددة أجمع معظمها على الآتي:

١- العدوان شعور داخلي بالغضب والاستياء لدى الفرد، يرافقه فعل أو سلوك يهدف إلى إيقاع الأذى بالآخرين، ويكون إما جسدياً أو لفظياً.

٢- العدوان هو الاستجابة التي تعقب الإحباط، ويراد بها إلحاق الضرر بالآخرين أو الذات.

٣- يدل العدوان على كراهية الغير، والشخص العدواني يعمل عكس قوانين السلوك المقبولة اجتماعياً.

٤- يفسر السلوك العدواني المواقف الخارجية على أنها مهددة ومحبطة بالنسبة إلى الشخص.

٥- هناك عدوان سوي وهو نشاط يعبر عن الإيجابية وتوكيد الذات لتحقيق الحياة يرتقي بالقيم الأساسية الخاصة بالبقاء والسعادة. وآخر غير سوي يتجلى في مضايقة الآخرين وحب الجدل.

يظهر السلوك العدواني منذ الطفولة، ويبدأ حين يلجأ الصغير - على قلة حيلته واعتماده اعتماداً كلياً على أمه في إشباع حاجاته الأولية -إلى الغضب والعدوان وسيلةً لإشباع رغباته في طريقة لا تخلو من الفرض والإلزام. ويشكل هذا السلوك الخطوة الأولى نحو الاستقلال، ويرى دايان (Diane، ١٩٧٨) أن الأطفال يظهرون العديد من النشاطات العدوانية في مرحلة ما قبل المدرسة، ويصل العدوان إلى ذروته فيما بين الرابعة والنصف والخامسة والنصف من العمر، ثم يتناقص بالتدريج، ليعود ويظهر في المراهقة بأشكال أكثر تنوعاً، وبهدف تحقيق الغايات النفسية التي تصاحب هذه المرحلة النمائية الهامة كالوصول إلى الاستقلالية وتأكيد الذات. ويكون العدوان أحياناً نمطاً من أنماط السلوك الضروري لتكييف شخصية الفرد مع المجتمع.

وفي الأغلب فإن الطفل العدواني ينظر إلى عدوانيته على أنها شيء طبيعي، وهذا ما أظهرته دراسة تكموثي(Tikmothy، ١٩٩٨) التي بينت أن معظم الأطفال الذين يكرههم زملاؤهم بشدة، يعدّون ذلك جيداً لأنفسهم، حيث أعطى الآباء والأساتذة والأطفال الآخرون الاستجابات المتوقعة للعدوانيين، لكن يظهر أن العدوانيين لا يمتلكون أي فكرة عما يعتقده الآخرون حولهم. فمالوا إلى إنكار أي خلاف مع الأولاد الآخرين أو مع أمهاتهم، وأعطوا لأنفسهم تقديراً عالياً في معظم المعايير، في حين كان الأطفال غير العدوانيين على الأرجح يقللون من أهمية كيف ينظر الآخرون إليهم.

ويتصف الطفل العدواني بأنه متمركز حول ذاته، يجد صعوبة في تقبل النقد أو الإحباط، وقد وجد أن الأطفال الأقل ذكاء هم أقل ميلاً إلى العدوان، وقد فسر ذلك بوجود غريزة العدوانية، كما فسر أيضاً بالتعلم وملاحظة النماذج.

ويمكن تقسيم السلوكات العدوانية لدى الأطفال إلى ثلاثة هي:

١- عدوان يهدف للدفاع عن الذات ضد السلوكات العدوانية.

٢- العدوان للسيطرة على الأقران، أو إزعاجهم بالضرب أو الإغاظة أو التسلط.

٣- العدوان المتفجر المفاجئ أو نوبات الغضب، فيقوم الطفل بتحطيم الأشياء والأثاث في المدرسة أو البيت، عندما يصبح عصبياً، ويبدو وكأنه لا يستطيع ضبط نفسه.

فالنزعة العدوانية متجذرة في الطبيعة البشرية، والسلوك العدواني سلوك طبيعي يكون ضرورياً حين يهدف إلى حماية الذات وما يخصها من التهديد، ولكنه غالباً ما يتطور بهدف إلحاق الأذى بالآخرين دون مسوّغ منطقي. ويؤدي التعليم دوراً كبيراً في تهذيب هذا السلوك أو تصعيده وتوجيهه نحو أهداف مفيدة للفرد والمجتمع.

وتأخذ البيئة الأسرية الأهمية الأولى في توجيه هذا النشاط إلى أهداف إيجابية، ويبدأ هذا التأثير منذ الطفولة، ويأخذ أهمية أكبر في مرحلة المراهقة. إذ يكون وجود الأب ضرورياً لمساعدة المراهق في تحقيق حاجاته، وتجنيبه الحرمان والإحباط. كما أن الأب قادر على توجيه السلوك العدواني لدى الأبناء، وخصوصاً الذكور منهم، بحكم دوره في الأسرة مصدراً للسلطة والقانون فيها، فهو الذي يحقق المعادلة الصعبة بالنسبة إلى الأبناء في تعليمهم سلوك العدوان واحترام السلطة والقانون في آن معاً. ولا بد أن يترك غيابه عن المنزل آثاراً في الخصائص النفسية والسلوكية للأبناء يمثل السلوك العدواني أحد أركانها الهامة.

أشكال السلوك العدواني

تمثل العدوانية (Aggressiveness): الميل إلى القيام بسلوك العدوان. ويتفرّع عن هذا الميل أشكالٌ متنوعة من السلوك العدواني هي:

العدوان العدائي (Hostile Aggression): هو الشعور بالكراهية والغضب نحو هدف يقف خلف السلوك أو المكوِّن الانفعالي للاتجاه. فالعداوة استجابة اتجاهية تنطوي على المشاعر العدائية والتقويمات السلبية للأشخاص والأحداث.

وهو عدوان سلبي يهدف إلى الخراب والموت للإنسان والبيئة، ينتج عن شعور المعتدي بكراهية الهدف ومقته، ومن أشكاله العنف والإرهاب والتطرف.

العدوان الوسيلي (Instrumental Aggression): ويسعى هذا النوع من العدوان لتحقيق أهداف إيجابية أحياناً كالحماية من الهجوم الخارجي، والدفاع عن الذات وما يخصها، أو لتحقيق إنجازات عقلية وإنجازات أخرى، وقد يهدف إلى تحقيق غايات أخرى.ومن أشكاله العدوان الطارئ والعبثي والعدوان- تأكيد الذات والعدوان الدفاعي.

ويتخذ العدوان أشكالاً أخرى منها:

العدوان المباشر والعدوان غير المباشر: فالأول يتولد من النتائج المباشرة للإحباط.والثاني يتوجه فيه العدوان إلى غير مصدره الأصلي.

العدوان الظاهر والعدوان المستتر: فالأول صريح ومباشر، والثاني غير مباشر.

العدوان العصابي وهو نوع من العدوان مغطى غالباً، يقع على أشخاص غير مقصودين به أصلاً استحدثته تجارب صادمة منذ الطفولة.

ومن مظاهر السلوك العدواني:

١- **العدوان اللفظي** (Verbal Aggression): ويتجلى في التعبير عن العدوان بالإكثار من الأصوات العالية، الصياح، الغضب، الشتائم، استخدام الألفاظ النابية، التهديد والوعيد.

٢- **عدوان مباشر ضد الأشياء**: ويتجلى في توجيه العدوان نحو الأشياء كضرب الأبواب بعنف، بعثرة الأشياء وإلقائها ورميها بعنف، إشعال الحرائق، وغيرها.

٣ - **عدوان ضد النفس**: ويتجلى في توجيه الأذى نحو الذات بطرق مختلفة؛ بإحداث جروح في الجسم وأذى فيه.

٤- **عدوان ضد الآخرين**: ويتجلى في توجيه العدوان نحو الآخرين ومهاجمتهم، وضربهم وركلهم أو إزعاجهم بطرق أخرى.

نظريات العدوان

وقد تناولت العديد من النظريات تفسير العدوان، منها:

١- نظرية العدوان الفطري: وتناولت مفاهيم العدوان من خلال:نظرية المجرم بالوراثة، نظرية غريزة العدوان، النظرية البيولوجية.

٢- نظرية تعلم العدوان: وتتضح هذه النظرية في نماذج منها:

تعلم الإحباط والعدوان، وتعلم العدوان بالإشراط، وتعلم العدوان بالملاحظة.

٣ - النظرية المعرفية: وتركز في دراستها للسلوك العدواني على السياق النفسي والاجتماعي للشخص العدواني.

٤- تفسير العدوانية على نحو فيزيولوجي بالهرمونات الجنسية: إذ تحدد الهرمونات الذكرية وبشكل مبكر، توجهاً عاماً أو نزعةً طبيعيةً تجعلُ الفرد يشعر أنه مدفوع إلى ممارسة بعض أشكال السلوك العدواني أو تجعله قادراً على اكتسابه بسهولة.

سمات الشخصية العدوانية

إن الشخص العدواني هو الذي يعبر غالباً عن السلوك العدواني، أو هو الذي يحمل اتجاهاً عدوانياً نحو الآخرين، وهو الذي يستجيب للإحباطات البسيطة بالغضب والعدوان. ويعبر عن الشعور بالعداوة بأساليب مختلفة منها: التهيج والحنق الشديد والشك والرفض والهجوم أو الاعتداء، أو العدوان اللفظي والإثم. وبعض مشاعر العدوانية هذه اتجاهات فكرية أو عقلية أو ذهنية أو مذهبية، وبعض مظاهرها الأخرى تتخذ شكلاً حركياً كالهرب والركل والدفع.وقد يكون العدوان على المستوى الفكري، كأن يحمل شخص أو مجموعة أفراد اتجاهات سلبية ومشاعر كراهية وغضب غير مسوّغة إزاء شخص أو موقف أو فكرة، كما يتضمن التسلط الفكري، فرض الشخص لأفكاره وآرائه على الآخرين.

وقد ورد في التصنيف الدولي للأمراض النفسية (D.s.m. ii،

١٩٨٧) الصادر عن رابطة النفس الأمريكية أن الملمح الأساسي لتحديد الشخصية العدوانية موجود في المعايير التالية:

١- المماطلة من حيث التأخير في إنجاز الأشياء.

٢- سرعة التهيج والمجادلة وعبوس الوجه والتجهم، في مواجهة المواقف غير المرغوبة.

٣- تعمد العمل ببطء و دون إتقان في المهام غير المرغوبة.

٤- الاحتجاج المستمر دون مسوّغ، بأن الناس تطلب أشياء غير معقولة.

٥- تجنب المسؤوليات بالتظاهر بالنسيان.

٦- اعتقاده بأنه يؤدي عملاً أفضل مما يظنه الآخرون.

٧- الاستياء من اقتراحات الآخرين المفيدة لتحسين الإنتاج.

٨- التدخل في عمل الآخرين بأشياء لا تخصه.

٩- دائم الانتقاد للناس الموجودين في مراكز السلطة دون سبب.

ويتصف السلوك الذكري عادة بالعدوانية أكثر من السلوك الأنثوي، إذ تؤكد التجارب أن ذلك يرتبط بالهرمونات الذكرية التي تعمل على إنتاج المسلك العدواني. وقد اهتمت الدراسات بمقارنة السلوك العدواني بين الجنسين، كدراسة إيجلي وستيفن (Eagly & Staffen) التي بينت أن العدوانية عند الذكور هي تماماً كما عند الإناث سلوك متعلم، تقوم التنشئة الاجتماعية بشكل رئيسي بتعليمه كدور محدد من الأدوار الاجتماعية. كما توصل ستاين وهوفمان (Stine & Hoffman) إلى أن الفروق في درجات العدوانية بين الجنسين تعود إلى فروق

ثقافية واجتماعية.وأظهرت دراسة ويسيل(Wessel، ١٩٨١) أن الطلاب الذين لديهم مفهوم ذات منخفض أكثر عدوانية واكتئاباً وقلقاً من الطلاب ذوي مفهوم الذات المرتفع. وبينت دراسة (مديحة منصور، ١٩٨١) أن ثمة ارتباطاً بين العدوانية والتكيف السيئ، وأن الذكور أكثر عدوانية.

وأشـــارت دراســـات (Maccob، ١٩٧٤)، (Fesh back) و(، ١٩٧٣ Bandura) (موسى، ١٩٩١) إلى أن ثمة فروقاً في العدوان بين الذكور والإناث في جميع الأعمار، وأن الذكور غالباً ما يتفوقون في إظهار العدوان، وأن سبب هذه الفروق يرجع إلى التنشئة الاجتماعية والتنميط الجنسي لكل من الذكور والإناث، وأن السلوك العدواني أكثر ثباتاً واستقراراً عند الذكور منه لدى الإناث، خلال مرحلتي الطفولة والمراهقة. إلا أن معظم الدراسات التي تناولت العدوان، قد بينت أن العدوان لا يقتصر على الذكور، وإنما يوجد أيضاً لدى الإناث مع اختلاف طرق التعبير عنه بين الجنسين، إذ غالباً ما يكون مستتراً لدى الإناث يظهر في أشكال لفظية كبث الشائعات ضد الضحية.

وقد أجمعت تلك الدراسات على أهمية التنشئة الاجتماعية في الأسرة والمجتمع في تعليم السلوك العدواني وتعزيزه وتوجيهه، لدى الجنسين.ولعل الثقافة العربية وطرق التنشئة فيها تحث الأولاد عموماً على إظهار القوة في مختلف مواقف الحياة، في حين تحث البنات على الهدوء والطاعة.

تتكون مشاعر العداوة من العديد من العناصر من بينها نزعة التسلط أو السيطرة أو الدفاع والحماية. وتتعزز مشاعر العداء من خلال الخبرات التي يمر بها الفرد.كما يتعلم طرق التعبير عنها، فإما أن يعبر عنها مباشرة وإما أن تبقى باطنة وخفية.

ويعتدي الإنسان لأسباب كثيرة يرجع بعضها إلى التكوين الجسمي والنفسي للإنسان، وبعضها اجتماعي يرجع إلى ظروف نشأته في الأسرة وفي المجتمع، وبعضها الآخر موقفي يرجع إلى ظروف الموقف الذي يرتكب فيه العدوان. وتأخذ العوامل النفسية أهمية كبيرة باعتبارها مسبباً للسلوك العدواني كشعور الفرد بعدم الأمن وعدم الثقة، وشعوره بالنبذ والحرمان من الحب وعدم التقدير والتجاهل واستمرار الإحباط مدة طويلة وعدم إشباع الحاجات العضوية.كما أن كثيراً من أشكال السلوك العدواني يكتسبها الفرد بتأثير من الآخرين وملاحظته لهم والتفاعل معهم بالاقتداء وملاحظة النماذج. ويمكن أن يؤدي التلفاز دوراً رائداً في تعليم السلوك العدواني من خلال أفلام العنف ومشاهد القتل والتدمير التي تعرض بصورة يومية وخصوصاً بالنسبة إلى الأطفال والمراهقين. فقد أكدت تجارب العالمين باندورا وروس (Bandura &Ross، ١٩٧٩) على أن الأفراد قد تعلموا بيسر أن يعبروا بشكل عدواني عن إحباطهم بسبب ما شاهدوه من نماذج عدوانية.

وينجم العدوان عادة عن الحرمان والإعاقة تعبيراً عن السخط والغضب والتوتر؛ فهو حالة دافعية (دافع - غريزة - طاقة). ويكون السلوك العدواني مشحوناً بالانفعالات المركبة التي تشكل حالة من الدافعية لعدد من النماذج السلوكية الأخرى. والعدوان كما يعرفه منز (Menz) هو كل سلوك يؤدي إلى إيقاع الأذى بالآخرين بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، مع توافر عوامل الاستمتاع بنواتج بالسلوك.

ويظهر العدوان لدى المراهق في تمرده ضد أكثر من موضوع واحد، كالتمرد ضد السلطة الأبوية والمدرسية وكل رموز السلطة وعدم طاعة القوانين، وسرعان ما يمتد ليشمل مجالات أخرى.ويبدأ العدوان

في دائرة الأسرة ثم ينتقل إلى المجتمع الخارجي، مما يكشف عن أهمية دور الأسرة في تنمية العدوان أو في الحد منه.

العدوانية في المراهقة

تشكل المراهقة إحدى حلقات النمو النفسي، وتخضع في جزء كبير منها للمرحلة السابقة وتؤثر بدورها في المراحل اللاحقة. وفي هذه المرحلة الحرجة، يحدث النمو الشخصي وتحقيق هوية الذات، كما يقل الإحساس بالرضا، ويظهر القلق والاكتئاب والمشاغبة والجنوح، والعدوان والعداء والغضب وعدم الصبر.

حيث يميل المراهق إلى إظهار السلوك العدواني نحو الكبار المحيطين به، ونحو مصادر السلطة في المجتمع.فهو يتحرك ضد الناس ويبحث عن الدور الذي يبغي تحقيقه في الرشد. وقد يغالي في استخدام العدوان، ويميل إلى الانتقام ممن نبذوه.

ويظهر العدوان لدى المراهق بسبب التوتر الانفعالي الناتج عن الضغوط الأسرية والنفسية أو المدرسية الذي يقوده نحو الإحباط والإخفاق في إشباع حاجاته، مما يجعله يبحث عن مصادر أخرى تساعده في تحقيقها. وينتج العدوان عن التشدد في وضع القيود التي تحد من حرية المراهق واستخدام أساليب تنشئة خاطئة معه، كإهماله وعدم احترام رغباته والإسراف في حمايته، وعدم الاعتراف به شخصاً له بعض الاستقلالية والحرية.وتعرضه للحرمان المادي بأشكاله المختلفة كازدحام الأسرة في مسكن ضيق، حيث لا يجد الشخص فيه مكاناً للحركة أو الراحة. وعدم قدرة المراهق على تحقيق ذاته واختلافه مع الأقران وعدم توجيه الوالدين والمربين له وعدم تعليمه التحكم في سلوكه وضبط غضبه.

ويقوم المراهق أحياناً بتقليد نموذج عدواني من الكبار في المنزل أو خارجه؛ فقد يمتلك فكرة حول العالم الذي يعيش فيه على أنه عالم عدواني، لذا عليه أن يقاوم العدوان. ويرغب المراهق عموماً في أن يكون قوياً يسيطر على الآخرين، ويهزم أعداءه بهدف حماية نفسه. وقد يميل إلى السيطرة في صورة ضمنية، وفي شكل مساعدة للغير.

ويظهر السلوك العدواني عادة مرتبطاً بعدد من المشاعر والدوافع:

١- فقد يكون مرتبطاً بالتوتر الداخلي، مسبباً الضيق والغضب والغيرة والرفض والتمرد والعصبية.

٢- وقد يكون مرتبطاً بمشاعر التفوق والاستعلاء، كما هو الحال في معاكسة الآخرين والتهديد والوعيد والتحكم والسيطرة.

٣- وقد يكون مرتبطاً بمشاعر اللذة والارتياح، كما هو الحال في السخرية والنقد اللاذع والقسوة ومضايقة الآخرين، ويغلب أن يكون الارتباط في كل حالة متعدد الجوانب، كثير التعقيد.

ويحتاج المراهق إلى شخص يساعده في تحقيق الاتزان في حياته النفسية بين قوة انفعالاته، ونقص قدراته الضابطة التي تتحكم في دوافعه. ولا شك أن الأب هو الأقرب إلى المراهق، والأقدر على مساعدته في معالجة مشكلاته بصبر ولين، وإرشاده نحو الطريق الصحيح.

يسعى المراهق بالدرجة الأولى إلى تأكيد ذاته واستقلاليته، وهذا ما يجعله حساساً ومعرضاً أكثر من سواه للغضب والعدوان، ويميل إلى مقاومة أي نوع من التهجم على كبريائه واحترامه لذاته. لذلك فهو يحتاج نوعاً من الرعاية التي تقوم على توجيهه بحزم وإظهار الحب له ومشاركته في مشاعره وفهم انفعالاته واحترام آرائه.

الأب الغائب والسلوك العدواني

مع أن الميل إلى العدوان فطري لدى الإنسان والحيوان، إلا أن السلوك العدواني هو استجابات مُتعلَّمة في معظمه، يهدف إلى إلحاق الأذى والضرر بكائن آخر، ويتخذ صوراً مادية أو لفظية أو رمزية. وتؤدي أساليب التنشئة دوراً كبيراً في تعليم الأبناء سلوك العدوانية والمشاعر الباعثة عليها وطرق التعبير عنها، فقد بين مليكة(١٩٦٥) العلاقة بين التغيرات التسلطية عند الأفراد وازدياد العدوان عندهم؛ فالسلوك العدواني يتأثر إلى حد كبير بموقف الأسرة والمناخ العام السائد فيها، وطبيعة التفاعل بين الوالدين، ويستجيب الأولاد الذين لم يحصلوا على الحب والتفاهم بشكل كاف، بأسلوب عدواني هدام، وقد يواجه الوالدان عدوانهم بالتوبيخ والتهديد واستعمال العقاب الجسدي، ومن شأن ذلك أن يدعم النموذج الكلامي والجسدي للعدوان لديهم. والملاحظ أن الشخصية العدوانية هي نمط الشخصية السائد في البيوت التي تعيش على الخلافات والتي يكون العقاب هو الوسيلة السهلة التي يلجأ إليها الأبوان لدفع أولادهما إلى إتيان السلوك الذي يرتضيانه، وهي أيضاً نمط الشخصية في البيئة المحرومة التي يتعامل فيها الصغار بقيم تتنافى مع قيم المجتمع.

فالممارسات الوالدية والاتجاهات الخاطئة في تنشئة الأولاد، وخاصة اتجاهات القسوة والعدوانية تولد أولاداً عدوانيين. ويؤدي استمرار الوالدين في استخدام هذه الأساليب كالعقاب البدني القاسي وإهمال الأبناء وعدم تلبية حاجاتهم في مرحلة المراهقة غالباً إلى تمرد المراهقين وإبداء السلوك العدواني سمةً عامة في سلوكهم.

فقد أظهرت دراسة (سميحة نصر، ١٩٨٣) حول الشخصية العدوانية وعلاقتها بالتنشئة الاجتماعية أن ثمة ارتباطاً دالّاً إحصائياً بين العدوان وكل من السلوك العملي الاستقلالي وصلابة التفكير ومرونته، وأن ثمة اختلافات في السمات السوية بين العدوانيين والأقل عدوانية.

ويرى (Binger، ١٩٨٣) أن أسلوب الأمهات في السيطرة على السلوك العدواني للأبناء يتغير من استخدام العقاب البدني إلى العقاب اللفظي مع تقدم الأولاد بالعمر، مما يغير في السلوك العدواني للابن.

ويساهم الوالدان وخصوصاً الأب، في تدريب الأبناء على ضبط العدوان في جميع الثقافات، مع العلم أن موقف الوالدين يخضع إلى تغيّرات الحضارة من مجتمع إلى آخر، ومن شخص إلى آخر، ومن جنس إلى آخر، وحسب الجهة التي يستهدفها العدوان.

ويشكل الأب في الأسرة نموذجاً سلوكياً يحتذيه الأبناء، وقد أشار فرويد إلى أهمية تقمص شخصية الوالد بصورة خاصة في تعلم العدوان؛ لكونه يتسم بأهمية أساسية في تكوين الكوابح وتطوير الأنا العليا لدى الصبيان.وقد أكد باحثون آخرون لاحقون كسيرز مثلاً على أهمية تقمص الولد لشخصية والده.

وتؤكد (Hurlock) أن عدوان الأطفال على الآخرين هدفه السيطرة عليهم وإخضاعهم، وما ذلك إلا تقمص لدور الأب داخل البيت؛ فمن خلال عملية التقمص يصبح الفرد صورة مصغرة ودقيقة من الوالد لأسباب دفاعية تسمى تقمص المعتدي. فالمراهقون الجانحون يأتون غالباً من أسر يسود فيها العقاب والعدوان. وذلك بسبب محاكاة النموذج الأبوي. فالأب هو الذي يقدم النموذج الأول

للعدوان عند الأولاد ويترتب على ذلك أن يؤدي غيابه إلى تأجيل ظهور السلوك العدواني عندهم. ولأن الأب ليس النموذج المناسب جنسياً للسلوك عند البنات، فهذا يفسر وجود العدوان عند الذكور أكثر مما هو لدى الإناث.

لقد لوحظ أن الأولاد الذين يأتون من بيوت يغيب فيها الأب مدة طويلة أو بشكل دائم، يظهرون تمرداً على السلطة الأنثوية في البيت، وأكثر هؤلاء الأطفال يتصرفون كما لو أنهم يعتقدون بأن السلوك العدواني تجاه الآخرين هو دليل الرجولة، فيصبح هؤلاء المراهقون عدوانيين بشكل متزايد.

وقد أظهرت ملاحظة (مختار، ١٩٩٤) لمدة عامين لـ(٥٤) طفلاً تراوحت أعمارهم بين سنة و١٥ سنة في مصر، أن غياب الأب يزيد اهتمام الأم بطفلها وخوفها عليه بسبب حرمانه من أبيه، مما يسبب له بعض الاضطرابات نتيجة إحساسه بالنقص. وأن فقد الابن لأبيه في سن متقدمة يغير من سلوكه الوديع والهادئ إلى سلوك مشاغب ومشاكس، وعدواني، فتراه يثور ويتهيج لأتفه الأسباب.وقد وجد أن ثمة صفات مشتركة بين الأطفال الذين فقدوا الأم أو الأب، كالانطواء والشعور بالغربة والرغبة في الانعزال والهرب والغيرة من الطفل الذي يعيش مع أبيه، ولعل هذه المشاعر السلبية تشكل أرضية مناسبة لتغير سلوك الأبناء من المسالم إلى العدواني تعويضاً عن الإحساس بالنقص والحرمان والغيرة.

كما أظهرت نتائج دراسة أجريت على(٥٢) مراهقاً، أن الصبية العدوانيين لديهم في أغلبية الحالات شرخ حاد في علاقة الأب مع الابن، وتمزق ثابت وشامل في الروابط العاطفية بين الأب والابن، يدركه الولد على نحو أكثر حدة، من تمزق علاقته بالأم. وأن الصبية

العدوانيين أقلّ حرارة وأقلّ أمناً في علاقاتهم العاطفية بوالديهم، وأقل تقمصاً لشخصيات آبائهم وأنهم أكثر عداء لآبائهم من أمهاتهم، وأقل استعداداً للارتباط بهم بطريقة التبعية من الصبية العاديين. وأن معظمهم كانوا ينتقدون تماماً صفات آبائهم، وقد رفضوهم رموزاً يتشبهون بها.

فالآباء هم الذين يسهمون في رسم الحدود التي تساعد الأولاد في ضبط أنفسهم والتحكم في سلوكهم وتطوير الضمير المناسب، وذلك بحكم منزلتهم باعتبارهم أرباب أسر يملكون الكلمة الأخيرة فيها. ولكن شكل السلطة يتغير في ظل غياب الأب؛ إذ يؤدي غيابه غالباً إلى ظهور السلوك العدواني لدى الأبناء.

ويسبب غياب الأب غالباً التوتر والإحباط، وما يرتبط به من القلق وتدني تقدير الذات وغيرها من المشاعر السلبية بالنسبة إلى المراهق، والتي قد تقوده إلى ممارسة السلوك العدواني، بسبب حرمانه من إشباع كثير من حاجاته المادية والمعنوية. كما أن غياب الأب يحرمه من تقمص النموذج الأول الذي يقوم بتعليمه ضبط عدوانه والتحكم فيه، واحترام ضوابط الأسرة وقوانين السلوك الاجتماعي.

وقد يترك غياب الأب المجال فارغاً أمام الأبناء، ليجعل من جماعة الأقران الجماعة المرجعية الأولى بالنسبة إليهم في القيم والسلوك، مما يعرضهم غالباً لخبرات ومشكلات لا يدركون لها حلاً إلا بزيادة العدوان. فغياب الأب قد يعرض المراهق لتأثير رفاق السوء، الذين يوصلونه أحياناً إلى ممارسة الانحراف السلوكي الذي يعبر من خلاله عن مشاعر العدوان الموجّهة ضد المجتمع، مما يفقده حياته ومستقبله.